الباب الثانى

ذكر جملة من المعجزات التى وردت بها الأحاديث

من المشهور الظاهر، ما روى عن النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – أنه قال لعمار[1] " تقتلك الفئة الباغية "[2] وهذا جرى مخبره بعد نحو من ثلاثين سنة على ما أخبر به – صلى الله عليه – وهذا الحديث معلوم صحته، لا إشكال فيه ولا لبس عند أهل النقل، وذلك لما اشتهر من تفاوض أصحاب معاوية[3] فيه، واضطراب معاوية فى تأويله، فمرة يقول: أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاء به يعنى عليا – عليه السلام –

---

١ – هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر الكنانى العنسى المذحجى حليف بنى مخزوم، ولد فى مكة سنة ٥٧ ق. هـ وكان عمار وأبوه وأمه من السابقين للإسلام فعُذبوا فى سبيل الله، هاجر الهجرتين وشهد جميع المشاهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشهد مع على وقعتى الجمل وصفّين فقتله جماعة معاوية يوم صفين فى ربيع الآخر سنة ٣٧ هـ وقد زاد عمره على التسعين (الإصابة ٢: ٥١٢، القاموس الإسلامى ٥: ٤٩٥).

٢ – أنظر فتح البارى ١: ٥٤١ كتاب الصلاة، حديث ٤٤٧، ومسلم فى كتاب الفتن.

٣ – معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه (ت ٦٨٠): مؤسس الدولة الأموية. أول خليفة أموى (٦٦١-٦٨٠). أحد دهاة العرب الأربعة: عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ومعاوية. أسلم يوم فتح مكة. اشترك مع أخيه يزيد الذى كان والياً على الشام. خلفه معاوية زمن عمر بن الخطاب، وأقره عثمان بن عفان فى منصبه. أظهر كفاءة إدارية، واستمال إليه أهل ولايته. خرج على على بن أبى طالب، وحاربه فى موقعة صفين ٦٥٧، التى انتهت إلى اتفاق الطرفين على التحكيم، مما أضعف موقف على. فلما فشل التحكيم استأنفا القتال، واستولى معاوية على مصر، وأغار على العراق. فى ٦٥٩ اتخذ لنفسه لقب خليفة فى بيت المقدس، وأخذ لنفسه البيعة من أهل الشام. أعد على حملة كبيرة ضده، لكنه اغتيل قبل ذلك. تنازل له الحسن بن على عن الخلافة، فاصبح أول خليفة أموى ٦٦١. اتخذ دمشق عاصمة له. ونجح فى توحيد البلاد، بفضل حنكته السياسية، فقد تفادى المنازعات القبلية وصاهر قبيلة كلب العربية الجنوبية. ينسب إليه إنشاء ديوان البريد، وديوان الخاتم، واتخاذ مقصورة فى الجامع. توسعت الدولة الإسلامية فى عهده شرقاً حتى بلاد ما وراء النهر، وغرباً فى شمال أفريقيا. حارب الروم، وأغار عليهم باستمرار براً وبحراً فى حملات الصوائف التى كانت تجرى كل صيف، والشواتى التى كانت تجرى كل شتاء. حاول فتح القسطنطينية، لكنه فشل أمام أسوارها المنيعة. استخلف ابنه يزيداً قبل موته، فكان أول من حول الخلافة الإسلامية إلى وراثية [البداية والنهاية (وفيات سنة ٦٠ هـ) ؛ ومناهج السنة ٢/ ٢٠١ ـ ٢٢٦ ؛ وابن الأثير ٤/ ٢ ؛ والإصابة ٣/ ٤٣٣]

حتى قال على – عليه السلام – حين بلغه ذلك: فعلى هذا يجب بأن يكون النبى صلى الله عليه وآله – قتل حمزة بن عبد المطلب[1] حين حمله إلى أحد، ومرة يقول: نحن البغاة، لأنا نبغى دم عثمان.

فلولا أن الحديث كان مشهورا، فيما بينهم، قد عرفوه ضرورة بالشهرة والاستفاضة، وبكثرة من سمعه من النبى – صلى الله عليه وآله – لأنكره معاوية، ولم يشتغل بتلك التأويلات البعيدة.

وقد روى أهل النقل أن ذا الكلاع[2] كان يفاوض معاوية – فى هذا الحديث ويضطرب فى قتل عمار، فكان معاوية يلبس عليه ويقول له: ما يقتل عمارا غير أهل العراق، فانا نقلته عن رأيه ونستدعيه إلينا، وسيقتل فى جملة عسكرنا إلى أن قتل ذو الكلاع فى جملة أصحاب معاوية وعمار رضى الله عنه فى جملة أصحاب على – صلوات الله عليه – فى يوم واحد، فكان معاوية – يقول: إنا بقتل ذى الكلاع، أسر منى بقتل عمار فانه لو بقى بعد عمار أفسد على عسكرى، فكل ذلك يدل على أن الحديث كان معلوما عندهم.

وأيضاً: أن الزبير[3] اضطرب يوم الجمل حين بلغه أن عمارا – رضى الله عنه – فى

---

١ – حمزة بن عبد المطلب (أبو عمارة)، عم النبى –صلى الله عليه وسلم– وأخوه من الرضاعة فهما من جيل واحد نشأ معا، ولعبا معا، وتآخيا معا كان يتمتع بقوة الجسم، وبرجاحة العقل، وقوة الإرادة، فأخذ يفسح لنفسه بين زعماء مكة وسادات قريش، وعندما بدأت الدعوة لدين الله كان يبهره ثبات ابن أخيه، وتفانيه فى سبيل إيمانه ودعوته، فطوى صدره على أمر ظهر فى اليوم الموعود... يوم إسلامه.

٢ – اسمه أيفع بن ناكور من اليمن أظنه من حمير يقال إنه ابن عم كعب الأحبار يكنى أبا شرحبيل.

٣ – الزبير بن العوام (؟ ـ ٣٦ هـ) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو عبد الله،القرشى الأسدى. ابن عمه النبى صلى الله علية وسلم. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم. حوراى رسول الله صلى الله علية وسلم. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى بعد عمر رضى الله عنه. أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل ثمانية سنين. هاجر الهجرتين. وهو أول من سل سيفاً فى سبيل الله. شهد بدراً ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله علية وسلم روى عنه ابناه عبد الله وعروة، وروى عنه أيضاً الأحنف بن قيس ومالك بن أوس وغيرهم. قتل يوم الجمل ودفن بناحية البصرة. [الإصابة فى تميز الصحابة ١/ ٥٤٥؛ وتهذيب التهذيب ٣/ ٣١٨].

عسكر على – عليه السلام – وجعل يروح عن نفسه بمنعه من بلغه التصديق إلى أن أخرج عينا له، فرجع وعرفه أنه فى جملتهم، فقال الزبير: وأقطع ظهراه، وأجدع أنفاه،ووقع عليه الأفكل، حتى قعقع ما عليه من السلاح، وذلك ما عرف من قول النبى – صلى الله عليه،وعلى آله: " تقتله الفئة الباغية "

ومن الخبر المشهور: الذى لا يرتاب فيه أهل النقل، وهو معلوم بينهم: ما كان من النبى –صلى الله عليه وآله – من إنذار عائشة، وتعريفه إياها: أن كلاب الحوأب تنبحها فى مسراها، وأنها لما بلغت الحوأب ونبحتها كلابها، سألت الجمال عن ذلك الموضع فعرفها أنه الحوأب، فأمرت أن يناخ بعيرها، وفزعت واضطربت حتى جاء بها أصحابها، وحلف على ما فى الخبر نحوا من ثلاثين رجلا أن ذلك الموضع ليس بحوأب، واشتهرت القصة فيه حتى ذكر كلاب الحوأب، أهل اللغة فى كتبهم، وقال الخليل فى كتاب (العين)[1]: " الحوأب موضع حيث نبحت الكلاب عائشة " وقال ثعلب فى كتاب " الفصيح "[2]: " وهى كلاب الحوأب مهموز يعنى الحواب " وقد ذكر أيضا القتيبى فى (أدب الكتاب) ولشهرة هذه القصة لا يكاد يذكر الحوأب إلا ويذكر الكلاب التى نبحت عائشة.

ومن الخبر المشهور قوله: – صلى الله عليه وآله – لعلى: "أنك تقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين" يعنى بالناكثين: أصحاب الجمل والقاسطين أهل الشام، والمارقين: أهل النهروان، فكان كل ذلك على ما أخبر صلى الله عليه وآله.

ومن المشهور قوله – صلى الله عليه – لعلى: " أشقى الأولين عاقر الناقة، وأشقى

---

١ – معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدى هو أول معجم عربى يؤلف فى اللغة العربية، و جاء حافلاً بالمعلومات الصوتية والصرفية والنحوية والتأصيلية: أصالة ودخيلاً ومعرباً، واللهجات واللغات والسماع والقياس والفروقات اللغوية بين المدن والأمصار والأقطار... إلى جانب ثروته الاستشهادية نثراً وشعراً، حديثاً وقرآناً، أمثالاً وحكماً ويتميز هذا المعجم بطريقة بنائه على مخارج الحروف. وقد شكلت هذه الطريقة صعوبة أمام استعمال هذا المعجم وبخاصة فى العصور الحديثة، وحالت دون الإفادة منه إفادة عامة.

٢ – كتاب الفَصيح فِى اللُّغَةِ لأبى العباس أحمد بن يحيى المعروف باسم ثعلب المتوفى سنة ٢٩١هجرية.

الآخرين قاتلك، يخضب هذه من هذه " وأشار صلى الله عليه – إلى لحيته ورأسه، فكان ذلك على ما أخبر به صلى الله عليه.

ومن المشهور المستفيض: حديث ذى الثدية، وهو أن عليا – عليه السلام – لما قتل أهل النهروان قال: أطلبوا ذا الثدية، فطلب، فلم يوجد، فقال على – عليه السلام،: والله ما كذبت، ولا كذبت، فاطلبوا " وما زالوا يطلبونه حتى وجدوه، فإذا هو رجل مجدج اليد إذا مددتها امتدت، وإذا أرسلتها انقبضت، فى رأسها حلمة كحلمة ثدى المرأة، فسر أمير المؤمنين – عليه السلام – وسر الناس، ولا يجوز أن يكون على – عليه السلام – عرفه إلا بخبر رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله.

على أن فى أكثر الأخبار أن عليا – عليه السلام – قال: أن رسول الله صلى الله عليه – أخبرنى أن فيهم رجلا يده كهيئة الثدى ".

ومن المشهور المستفيض الذى لا يرتاب فيه أهل النقل، وأصحاب السير والتواريخ ولاشتهارها، يعرفها كثير من العامة: قصة كسرى، وهو أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – كتب إليه كتابا يدعوه إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فلما ورد عليه الكتاب مزقه، فلما بلغ رسول الله – صلى الله عليه – الخبر، قال: " مزق ملكه " فكان كما قال صلى الله عليه وسلم، ثم غضب كسرى، وكتب إلى صاحبه: باذان[1]، وكان على اليمن، يأمره بأشخاص رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله، فبعث (باذان) رسولين إليه – صلى الله عليه وآله، يعرفانه بالصورة، ويقولان له: أجب شاهنشاه الملوك: كسرى، فإنك إن فعلت ذلك كتب لك الملك باذان إليه، ليحسن إليك، وإن أبيت فهو من تعلم، يعنيان كسرى، يهلك ويهلك قومك، ويخرب ديارك، فقال لهما رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله: "انصرفا وعودا إلى غدا " فأتاه – صلى الله عليه – الوحى بأن كسرى وثب عليه ابنه: شيرويه[2]، وقتله فى ساعة كذا، من ليلة كذا، من شهر كذا، فلما دخلا عليه –

---

١ – نائب كسرى على اليمن.

٢ – شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان.

صلى الله عليه – عرفهما ما نزل الوحى به من وثوب شيرويه على أبيه كسرى، وقتله له، فاستعظما ذلك وعادا إلى باذان، فقصا عليه القصص، فقال باذان: ما هذا كلام ملك، بل هو كلام نبى مرسل، لكنا ننتظر، فإن ورد الخبر بما قال فهو نبى مرسل، لا شك فيه، وإن يكن غير ذلك نرى فيه رأينا، فورد عليه كتاب شيرويه بذلك فأسلم باذان، ومن معه من الفرس.

ولست أقول: أن هذا التفصيل مشهور عند كثير من العامة والخاصة، وإنما أقول: أن قدر المعجز منه مشهور، وهو ورود الرسل على رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله، بالتهديد، وتعريفه – صلى الله عليه وعلى آله، إياهم، أن كسرى قد قتل.

ومن ذلك قصة العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر، فلما جاء إلى المدينة قال له – صلى الله عليه: " أفد نفسك، وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب[1]، ونوفل بن الحارث "[2] قال: ليس لى مال. قال: " فأين المال الذى وضعته بمكة، حين خرجت أم الفضل[3]، ليس معكما أحد، ثم قلت لها: إن أصبت فى سفرى هذا، فللفضل كذا، ولعبد الله كذا، ولقثم كذا، ولعبيد الله كذا " فقال العباس: والذى بعثك بالحق ما علم هذا غيرى وغيرها، وأنى لأعلم أنك رسول الله – صلى الله عليك – ففدى العباس نفسه، وأبنى أخويه، وهذه قصة مشهورة ظاهرة عند أهل النقل.

ومن ذلك قصة عمير بن وهب الجمحي[4] فى سبب إسلامه، وهى أنه وصفوان

---

١ – عقيل بن أبى طالب، أخو على و جعفر و طالب بن أبى طالب. كان أكبر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أكبر من على بعشر سنين، كما أن طالب أكبر من عقيل بعشر، وكلهم أسلم إلا طالباً، أسلم عقيل قبل الحديبية وشهد مؤتة.

٢ – نوفل بن الحارث بن عبد المطلب القرشى الهاشمى.

٣ – لبابة بنت الحارث، هى زوج العباس بن عبد المطلب، عم النبى صلى الله عليه وسلم، وأم أولاده الرجال الستة النجباء الذين لم تلد امرأة مثلهم وهم: الفضل، وعبد الله ،وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن.

٤ – هو الصحابى عمير بن وهب الجمحى لقب بشيطان الجاهلية فى الجاهلية وكان أهل مكة يلقبونه بشيطان قريش لصدق حدسه وشدة بأسه ولما أسلم أصبح يلقب بحوارى الإسلام.

بن أمية الجمحي[1] قعدا فى الحجر يتذاكران قتلى بدر، ويتوجعان لهم، ويقول صفوان: لا خير فى العيش بعدهم، فقال عمير: لولا دين على، وما أخشى من ضيعة عيالى بعدى. كتبت إلى محمد بعلة أسير لى فى أيديهم، وقتلته، فقال له صفوان: فعلى دينك. وعيالك أسوة بعيالى، فتكاتما ذلك، وخرج عمير حتى قدم المدينة، ودخل على رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – متوشحا بسيفه، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه فلبسه، فلما رآه رسول الله – صلى الله عليه – قال: أرسله يا عمر، ادن يا عمير، ما حاجتك ؟ قال: جئت للأسير الذى فى أيديكم، فقال – صلى الله عليه وعلى آله – "أصدقنى ما الذى جئت له ؟" قال: ما جئت إلا لذلك، فقال له صلى الله عليه وعلى آله: "بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر" وقص عليه ما كان جرى منهما. وقال له: "جئت لتقتلنى والله حائل بينى وبينك" فقال عمير: أشهد أنك رسول الله. هذا أمر ما حضره غيره وغير صفوان وما أخبرك به إلا الله عز وجل، فأسلم، وشهد شهادة الحق، وحسن إسلامه.

ومن المشهور: أن ناقة ضلت لرسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – فى بعض غزواته، فطلبوها، فلم يجدوا، فتكلم أهل النفاق، وقالوا أنه يخبرنا أخبار السماء، ولا يدرى أين ناقته ؟ فأتاه – صلى الله عليه – الوحى بموضعها وحالها، فقال للناس: أنى لا أعلم إلا ما علمنى الله، وأن الناقة فى موضع بعينه، ذكره – قد تعلق زمامها بشجرة بعينها فمضوا وطلبوا فوجدوها كما أخبر به صلى الله عليه وعلى آله.

ومنها أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – أخذ حفنة من الحصا، فاستقبل بها قريشا، ثم قال: " شاهت الوجوه، ثم نفحهم بها " فكانت الهزيمة، فأنزل الله عز وجل فى ذلك: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[2] ولا يجوز أن يخاطب الله عز وجل فى كتابه – صلى الله عليه – إلا وذلك الرمى مشهور حاله عندهم، لأن

---

١ – صفوان بن أميّة بن خلف بن وهب الجمحى القرشى، أسلم بعد فتح مكة قُتِلَ أبوه يوم بدر كافراً، وكان من كبراء قريش، وكان صفوان أحد العشرة الذين انتهى إليهم شَرَفُ الجاهلية، ووصله لهم الإسلام من عشر بطون، شهد اليرموك وكان أميراً على كُرْدُوس من الجيش.

٢ – الأنفال: ١٧

أحواله – صلى الله عليه وعلى آله – فى تلك الحملة كانت معلومة لأصحابه ظاهرة فيهم لا خفاء به عندهم.

ومن ذلك نعيه النجاشي[1] وهو – صلى الله عليه – بالمدينة وصلاته عليه، ثم ورد الخبر بموته فى اليوم الذى كان نعاه، ولشهرته جعل كثير من الفقهاء تكبيره – صلى الله عليه وعلى آله – أصلا فى الصلاة على الجنائز.

ومن ذلك حديث المسرى: فإن رسول الله – صلى الله عليه – لما أسرى به إلى بيت المقدس، وعاد إلى مكة فى ليلة واحدة حدث أصحابه بما شاهد فى طريقه، فسئل عن عير كانت لقريش فى الطريق، فقال "لقيتها بمكان كذا، ومررت عليها، ففزع فلان" فقيل له: يا فلان ما رأيت ؟ فقال: ما رأيت شيئا، إلا أن الإبل نفرت، وقالوا له:أخبرنا متى تأتينا؟ قال: "تأتيكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل أورقه عليه غرارتان، أحداهما سوداء، والأخرى، بيضاء" قالو: أى ساعة ؟ قال: " ما أدرى أطلوع الشمس من هاهنا أسرع، أو طلوع العير من هاهنا ؟ قال: فلما كان ذلك اليوم بعثوا رجلا من هاهنا، ورجلا من هاهنا. فقال رجل: هذه الشمس قد طلعت، وقال الآخر: هذه عيركم قد طلعت. وقال أيضا – صلى الله عليه – " مررت بالعير فوجدت أربابها نياما، ولهم أناء فيه ماء، وقد غطوا عليه فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم رددت الغطاء كما كان " وان القوم لما وردوا سئلوا عن الإناء وحاله، فكان الأمر على ما قال – صلى الله عليه وآله – وفى الحديث:" أن المشركين لما سمعوا ذلك أنكروه، وحكوا ذلك لأبى بكر فقال " أن كان قال ذلك، فقد صدق " فسمى " صديقا " وقال له المشركون، " صف لنا بيت المقدس،فوصفه – صلى الله عليه وآله – لهم. وقال: جعل المسجد بحذائى، حتى وصفته " وهذه قصة مشهورة، ولشهرتها ذكرها اله عز وجل فى كتابه.

---

١ – النجاشى: كلمة حبشية تُستخدم لقباً للملك، مثل كسرى وقيصر، تعنى العطية (سيرة ابن هشام (١ / ٢٣١)، أنساب الأشراف (١٨٨)، لسان العرب (مادة نجش)

ومن ذلك. حديث الشاة المسمومة[1] التى قدمتها امرأة يهودية إلى رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله – وهو بخيبر، فلما أكل منها لقمة أو لقمتين، وأكل منها من هناك من أصحابه، قال: " إنها تخبرنى أنها مسمومة" وقال لها: " لم فعلت ذلك ؟ " قالت: " أردت إن كنت كاذبا أن يستريح الناس منك وان كنت نبيا لم يضرك" وهذه قصة مشهورة حتى تكلم المتكلمون فى كيفية خبر الشاة، وان ذلك يكون كلامها، أو كلاما يخلقه الله تعالى فيها، ومن يكون متكلما به ؟

وروى عن النبى صلى الله عليه – أنه قال عند وفاته " ما زالت أكلة خيبر تعاودنى، فالآن قطع أبهرى " وكل ذلك يبين اشتهارته واستفاضته.

ومن ذلك حديث الاستسقاء[2]، وهو أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – شكى إليه الجدب وهلاك المواشى، لانقطاع الأمطار فرفع رسول الله – صلى الله عليه – يده إلى السماء، صلى الله عليه، يده إلى نحره وصدره، حتى ابتدائت

---

١ – عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال: " أهدت امرأة يهودية إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شاة سميطا، فلما مد يده إليها ليأكل قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن عضواً من أعضائها يخبرنى أنها مسمومة، فامتنع رسول الله وامتنع من معه، فأرسل إلى اليهودية، فقال: ما حملك على أن أفسدتها بعد أن أصلحتها ؟ قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فإنك ستعلم ذلك، وإن كنت غير نبى أرحت الناس منك " (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٨ / ٢٩٥).

٢ – روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: أصابت الناس سنة (أى قحط) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابى فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما فى السماء من قزعة (أى قطعة رقيقة من السحاب) قال: فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، قال: فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذى يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابى أو رجل غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا" قال: فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة فى مثل الجوية (أى الفرجة المستديرة الواسعة والسحاب محيطاً بأفاق المدينة) حتى سال الوادى وادى قناة شهراً قال: فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود. (الفتح ٣ / ١٧٣، ومسلم ٦/ ١٩٤).

السحائب، ترتفع وتجتمع وأرخت عزاليها، ثم جاءوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – يقولون: الغرق، الغرق. تهدمت البيوت، فقال صلى الله عليه: " حوالينا ولا علينا " اللهم على الظهران والجبال، وبطون الأودية " فانجاب السحاب عن المدينة، وصار حولها كالإكليل، ومطروا بعد ذلك مدة طويلة، وقد اختلفوا فى مقدار تلك المدة، فقال – صلى الله عليه: " لله در أبى طالب، لو كان حيا لقرت عيناه، من ينشدنا قوله ؟ " فقام علي- عليه السلام – فقال يا رسول الله. كأنك أردت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهـه ثمال اليتامى، عصمة للأرامل ؟

إلى آخر الأبيات، وهذه قصة مشهورة حتى صار قوله – صلى الله عليه: " حوالينا لا علينا " مثلا يضرب لاشتهاره.

ومن المشهور: أنه صلى الله عليه لما احتاج أصحابه إلى الماء وضع يده فى الإناء فانفجر الماء من بين أصابعه حتى توضئوا وشربوا، وقد ذكر فى مواضع عدة. وفى أوقات مختلفة. [1]

ومن المشهور، حنين الجذع،[2] وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه – كان إذا

---

١ – عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيرة، فأتينا على ركية دمنة، (أى قليلة الماء) قال: فنزل فيها ستة أنا سادسهم، قال: فأدليت إلينا دلو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفة الركى، قال: فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها، فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال البراء: فجئت بإنائى هل أجد شيئاً أجعله فى حلقى فما وجدت، فرفعت الدلو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمس يده فيها فقال: ما شاء الله أن يقول، فأعيدت إلينا الدلو بما فيها، قال: فقد رأيت آخرنا أخرج بقوة خشية الغرق، قال: ثم ساحت. (رواه أحمد والطبرانى ورجالها رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٨/ ٣١١، وهو فى الصحيح باختصار).

٢ – عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه ؟ فإن لى غلاماً نجاراً، قال: "إن شئت" فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر الذى صنع فصاحت النخلة التى كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق فنزل النبى صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت حتى استقرت، قال: "بكت على ما كانت تسمع من الذكر". (رواه البخاري).

خطب فى المسجد خطب إلى جذع فيه، فلما عمل له المنبر، وقام عليه حن الجذع حنين الناقة، فأتاه رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله –فاحتضنه ومسحه بيده، حتى سكن.

ومن ذلك ما كان من رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – حين نزل بالحديبية، فقيل له: ليس بالوادى ما ينزل عليه الناس. فأخرج سهما من كنانته، فأعطاه رجلا من أصحابه، فنزل فى قليب هناك، ففرزه فيه، فجاش الماء حتى أخذ الناس حاجتهم، وصدروا عنه.

وروى أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – بصق فيها ولشهرة ذلك بصق مسيلمة الكذاب فى بئر فيه وشل. قعار ماؤها، وجف قرارها.

ومن المشهور تعريفه – صلى الله عليه – أويس القرنى،[1] وأنه به برص، دعا له الله فبرئ منه إلا قدر الدرهم[2] إلى غير ذلك من أحواله، حتى ذكره عمر، وسأل عنه وطلبه حتى ظفر به.

ومن ذلك أن الطعام أعوز أصحابه – صلى الله عليه وعلى آله – فى غزوة تبوك[3]، وضاق عليهم فشكوا ذلك إلى رسول الله – صلى الله عليه – فقال:" من كان عنده فضل طعام فليأتنا به، فأتى بنيف وعشرين صاعا، فجلس رسول الله –

---

١ - روى مسلم فى صحيحه عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن (هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام فى الغزو) سألهم: أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر ؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن ؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال: نعم، قال: هل لك والدة ؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها أبر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لى، فاستغفر له. (مسلم ١٦/ ٩٥).

٢ - الدرهم: فارسى معرب والجمع دراهم وهو ستون عشيرا (المروج ٢ / ٣٤٢)

٣ - فى رجب سنة تسع من الهجرة ، و(تبوك) موضع بين وادى القرى من أرض الحجاز وبين الشام و. وفى غزوة تبوك أنظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى فى كتاب المغازى ٨/ ١١٠، والبداية والنهاية أول الجزء الخامس و تبوك: موضع بين وادى القرى من أرض الحجاز وبين الشام أنظر: (معجم البلدان: ج٢، ص ١٤، وفتح البارى شرح صحيح البخارى فى كتاب المغازى ٨/ ١١٠)

صلى الله عليه – ودعا بالبركة، ثم دعا الناس، فقال: خذوا فاخذوا حتى اكتفوا وصدروا، وفضلت فضلة، وهذه الآية – أعنى تكثير القليل من الطعام، وإشباع الكثير منه – قد تكررت فى مواضع[1] واشتهر منها بمكة فى أول البعثة لما نزل قوله عز وجل: " وأنذرك عشيرتك الأقربين " دعا صلى الله عليه رهطا من عشيرته، فقدم إليهم يسيرا من الطعام، فأكلوا منه وشبعوا.

ومنها خبر دعائه صلى الله عليه جابرا إلى الطعام، وكان أعد له يسيرا – فدعا – صلى الله عليه وعلى آله – عددا كثيرا من أصحابه حتى أكلوا وشبعوا.[2]

ومنها، حديث عبد الرحمن بن أبى بكر[3]، قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه – ثلاثين ومائة فقال – صلى الله عليه وعلى أهله: "هل مع أحد منكم طعام؟" فإذا مع رجل صاع واحد، فأطعم الجميع منه إلى أن شبعوا وفضل

ومن ذلك حديث جابر[4] أن رسول الله – صلى الله عليه – أعطى رجلا وسق

---

١ - ومن ذلك أيضاً نبع الماء من بين أصابع النبى – صلى الله عليه وسلم – فى مواطن متعددة، فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أنه قال: "رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بوضوء، فوضع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه – صلى الله عليه وسلم – فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم" (أنظر فتح البارى ٦: ٥٨٠)

٢ - عن جابر – رضى الله عنه -: أن رجلاً أتى النبى – صلى الله عليه وسلم – يستطعمه، فاستطعمه شطر وسق شعير. فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله، فأتى النبى – صلى الله عليه وسلم – فأخبره، فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم. (أنظر صحيح مسلم: كتاب الفضائل).
وأيضاً حديث جابر – رضى الله عنه – أن النبى – صلى الله عليه وسلم- أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع من شعير وعناق. قال جابر – رضى الله عنه -: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هى، وإن عجيننا ليخبز، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصق فى العجين والبرمة وبارك. (أنظر فتح البارى ٧: ٣٩٥).

٣ - عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى قحافة -رضى الله عنه-، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا محمد، وأمه أم رومان بنت الحارث، وهو شقيق أم المؤمنين عائشة.

٤ - جابر (١٦ ق هـ – ٧٨ هـ) هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام. أنصارى، سلمى. صحابى ؛ شهد بيعة العقبة. وغزا مع النبى صلى الله عليه وسلم، وكانت له فى أواخر أيامه حلقة بالمسجد النبوى ويؤخذ عنه فيها العلم. كف بصره قبل موته بالمدينة. رضى الله عنه.
[الاصابة (ط التجارية ١/ ٢١٤)، والأعلام للزركلى ٢/ ٩٢]
الجامع، نوح بن ابى مريم:ر: أبو عصمة.

شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته،حتى كالوه، فقال لهم صلى الله عليه: " لو لم تكيلوه لأكلتم منه، وأقام لكم " وغير ذلك فيما يكثر عدده.

ومن المستفيض، أن جابر بن عبد الله الأنصارى أتى محمدا ابن على بن الحسين – عليهم السلام – وهو فى الكتاب فقبله، وقال له: أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – أمرنى أن أقرئك السلام.

ومن ذلك أنه صلى الله عليه نعى جعفر بن أبى طالب، وهو على بعد منه.

ومن ذلك مجئ الشجرة فإنه تكرر فى مواضع منها مكة والمدينة، حتى أقبلت إليه تشق الأرض شقا، ومرتين فى الصحراء، حين أراد قضاء الحاجة اجتمعت له – صلى الله عليه – شجرتان، فاستتر بهما: وقضى الحاجة، ثم افترقا وعاد إلى مكانهما، ودعا – صلى الله عليه – غصنا من شجر فأتاه، حتى رأى ذلك من كان طلب الآية، ثم عاد إلى مكانه.

ومن ذلك انشقاق القمر: وقد رواه عدة من أصحابه، وان كان الأشهر رواية عبد الله بن مسعود، فقد قال: أنى رأيته فلقتين، وروى أنس: " أن أهل مكة سألوا رسول الله – صلى الله عليه – آية " فأراهم انشقاق القمر، وكان يحدث به فى تفسير قوله عز وجل: " وانشق القمر " وعن عبد الله بن مسعود، قال: انشق القمر بمكة، فقالت قريش: هذا سحر سحركم به، فقال بعضهم: انظروا إلى السفار، فسألوهم فقالوا: قد رأينا القمر انشق ".

وروى ذلك عن حذيفة[1] وابن عباس وجبير بن مطعم: ويدل على صحته: أن

---

١ – حذيفة (؟ ـ ٣٦ هـ) هو حذيفة بن اليمان (واليمان لقبه واسمه: حسيل ويقال حسل) أبو عبد الله العبسى. من كبار الصحابة،وصاحب سر رسول الله صلى الله علية وسلم. أسلم هو وأبوه وأراد شهود بدر فصدهما المشركون، وشهدا أحداً فاستشهد اليمان بها.شهد حذيفة الخندق وما بعدها، كما شهد فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة. خيرة النبى صلى الله علية وسلم بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة. استعمله عمر على المدائن فل م يزل حتى مات بعد بيعة على بأربعين يوماً.
روى عن النبى صلى الله علية وسلم الكثير، وعن عمر، وروى عنه جابر وجندب وعبد الله بن يزيد وآخرون. [تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٩، والإصابة ١/ ٣١٧؛ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤/ ٩٣؛ والأعلام للزركلى ٢/ ١٨٠].

النبى – صلى الله عليه – تلا عليهم قوله عز وجل: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[1] ولو لم يكن ذلك ظاهرا بينهم لأنكروا ذلك، وكذبوا قوله صلى الله عليه ولقالوا، لم ينشق القمر، ولم يحتاجوا إلى أن يقولوا: أنه سحر مستمر فوضح بذلك أنهم كانوا شاهدوا ذلك وعرفوه ولا وجه لتأويل من يتأوله على أنه بمعنى ينشق يوم القيامة لوجوه منها: أنهم لا يقولون فى الآيات يوم القيامة إنها سحر، لأنهم يعرفون تلك الأحوال ضرورة.[2]

فإن قيل: لا نسلم لكم يوم القيامة ولا كون الآيات فيها، فكيف نسلم أنها تعلم ضرورة ؟

قيل له: لسنا نحتاج إلى تسليمكم صحة ذلك لأن ذلك معلوم من دين النبى – صلى الله عليه – وأديان سائر الأنبياء – صلوات الله عليهم – ولا يجوز أن يخبر النبى – صلى الله عليه – بخبر يعلم خلافه من دينه ضرورة.

ومنها: أنه ليس فى القرآن. ولا فى شئ من الأخبار الصحيحة أن القمر ينشق يوم القيامة، وأن فى القرآن " وخسف القمر وجمع الشمس والقمر " ومنها: أن ظاهر الآية خبر عن الماضى فلو لم يكن ذلك معلوما عند الكفار لراجعوه فيه حتى يعرفهم – صلى الله عليه – مراده، ولما لم يجز ذلك ثبت صحة ما قلناه، ولا وجه أيضا لتأويل من يتأول فيه فيقول: أن المراد به ضرب المثل لوضوح الأمر، كما يقال: هذا أمر قد طلع فجره، وأشرقت شمسه. لأن ضرب المثل بطلوع الفجر وإشراق الشمس يصح ؛ لأن طلوع الفجر وإشراق الشمس يزيدان فى الضوء، ولو انشق القمر لم يجب أن يتزايد الضوء بل يكون ذلك إلى تناقصه أقرب، فكيف يصح ضرب المثل به لوضوح الأمر ؟

ولا معنى لقول من يقول: أن ذلك لو كان لم يخف على أهل الشرق والغرب، لأنه لا يمتنع أن يعلم ثقة: أن الأصلح إظهاره لقوم بعينهم دون سائر

---

١ – القمر: ١-٢

٢ – أنظر فتح البارى ٦: ٦٣١ من كتاب المناقب، صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

الخلق، فيخفيه على سائر الخلق بالغمام، فى بعض المواضع،وبالشغل أو النوم لآخرين.

ومن المشهور قوله – صلى الله عليه – لسراقة بن جعشم[1]، وقد نظر إلى ذراعيه: " كأنى بك، وقد لبست سوارى كسرى " وكان سراقة أشعر الذراعين دقيقهما، ولما كان ما كان فى زمان عمر بن الخطاب، وفتحت خزائن كسرى وحمل المال، فوضع فى المسجد فرأى عمر منظرا لم ير مثله، والذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلألأ. فقال: أين سراقة بن جعشم ؟ فأتى به فقال: البسهما ففعل. فقال: الله أكبر، الحمد لله الذى سلبهما كسرى، وألبسهما سراقة بن جعشم، فكان ذلك آية ظاهرة لرسول الله – صلى الله عليه.[2]

ومن المشهور. ما روى عن أمير المؤمنين – عليه السلام – أنه قال: لما غسلت رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – ما أردت عضوا أغسله إلا قلب لى حتى أغسله، ولقد رأيت يد غيرى عليه، وسمعت مناديا ينادى فى جانب البيت: " لا تخلعوا القميص " ولقد رأيت أن أكبه فنوديت " ألا تكبه ".

وروى أنه لما توفى رسول الله – صلى الله عليه – جاءهم آت، يسمعون حسه، ولا يرون شخصه، فقال: " السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته " كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك ".

---

١ – هو أبو سفيان سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى المدلجى، كان فى الجاهلية قائفاً – أى يقتص الأثر – فلما خرج الرسول – صلى الله عليه وسلم – مهاجراً خرج سراقة يقتاف أثره طمعاً فى المكافأة من المشركين، فلما أدركه ساخت أقدام فرسه فى الأرض أكثر من مرة، فأعطاه الرسول – صلى الله عليه وسلم – الأمان ووعده بسوارى كسرى، فرجع يُعمّى الأخبار على المشركين، وأسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ ولما أتى عمر – رضى الله عنه – بغنائم فارس وبسوارى كسرى بن هرمز ألبسهما سراقة تنفيذاً لوعد النبى – صلى الله عليه وسلم – وقد توفى سراقة فى خلافة عثمان سنة ٢٤ هـ (الإصابة ٢: ١٨، القاموس الإسلامى ٣: ٢٩٣).

٢ – أنظر دلائل النبوة للبيهقى ٦: ٣٢٥-٣٢٦، البداية والنهاية ٦: ٢٢٠

فهذه أخبار مشهورة ظاهرة، ولم نتتبع من معجزاته – صلى الله عليه – التى رواها الواحد والإثنان، فإن ذلك يكثر ويبلغ نحو ألف معجز.

فإن قيل: فما تقولون فى هذه الأخبار التى رويتموها ؟ هل تقولون: أنها توجب العلم على التفاصيل ؟

قيل له: فى جملة هذه الأخبار: أخبار توجب العلم لمن عنى بسماعها والبحث عنها، وفيها ما يوجب اجتماعها، والعلم على الجملة:

بأنه – صلى الله عليه وعلى آله – كان يظهر عليه آيات ناقضة للعادة، بأنه – صلى الله عليه وعلى آله – ولا يمتنع أن تكون أخبار الآحاد إذا توردت تتضمن أمرا من الأمور أن يقع العلم بذلك الأمر على الجملة. ألا ترى أن عامة ما يروى عن على – عليه السلام – من مسائل الفقه طريقها الآحاد، ثم يحصل العلم الضرورى بأنه كان فقيها، وكذلك حال عبد الله بن مسعود، وابن عباس وغيرهما من فقهاء الصحابة، وكذلك كل موقف لعلى – عليه السلام – فى الحروب لا يكاد يثبت إلا من طريق الآحاد، ثم يجعل الضرورى أنه كان شجاعا، وكذلك حال الزبير، وأبى دجانة(١)، وغيرهما من الشجعان من الصحابة وغيرهم. وهذه الطريقة هى التى اعتمدها أصحابنا فى إثبات إجماع الصحابة على القول بالقياس وخبر الواحد وبمثل هذه الطريقة يعلم جود الأجواد. وبخل البخلاء، وسير الملوك فى العدل والظلم، فيجب على ما بيناه أن تكون هذه الأخبار الواردة فى معجزات نبينا – صلى الله عليه – وإن لم يكن كل واحد منهما واردا موردا يوجب العلم بجملتها، موجبة للعلم بأنه صلى الله عليه وعلى آله، كانت تظهر عليه آيات ناقضة للعادة.

فإن قيل: أن هذه الأخبار لم ينقلها إلا من كان مصدقا به – صلى الله عليه وعلى آله – وهذا يمنع الاعتماد عليها.

---

١ – أبو دجانة سماك بن خرشة،أحد صاحب رسول الله وأعطاه سيفه يوم أحد ولبس عصبته الحمراء وقتل خلق كثير من المشركين حتى كاد أن يقتل هند بنت عتبة فرفع سيف رسول الله عنها إكراما لسيف الرسول،وقد اخذ السيف بحق من رسول اله وقال الأنصار لبس أبو دجانة عصابة الموت، إشارة إلى عصبته الحمراء استشهد فى اليمامة بعد أن تنازع مع وحشى الحبشى فى قتل مسيلمة، وقيل قاتل مع على يوم صفين واستشهد.

قيل له: الإعتبار فى إيجاب الأخبار للعلم لا يرجع إلى أحوالهم فى باب الديانات، وإنما يرجع إلى أحوالهم فى الكثرة، وكونهم عالمين صرفة بما يخبروا به، أو استحالة التواطؤ معهم على وضع ما يخبرون به، فوجب بذلك سقوط هذا السؤال.

على أن هذا السائل لا يخلو من أن يكون من غثاء الملحدة، أو من أهل الكتاب، فان كان من أهل الكتاب، فقد علم الكلم منهم أنه لم ينقل معجزات أحد من الأنبياء صلوات الله عليهم – إلا من كان مصدقا بهم، ولم يوجب ذلك طعنا فى معجزاتهم، أو فى نقلهم، فوجب أن يكون ذلك حال نقل معجزات نبينا صلى الله عليه وعلى آله.

وليس يؤثر فيه قول اليهود: أن معجزات موسى – صلى الله عليه – قد نقلها النصارى والمسلمون، وقول النصارى، أن معجزات عيسى – صلى الله عليه – قد نقلها المسلمون ؛ لأن ذلك لا يخرجها من أن يكون نقلها من جهة المصدقين بها – صلى الله عليهما – ألا ترى أن ملحدة الفلاسفة والمجوس لا ينقلون شيئا من ذلك ولا يصدقون به.

فإن قيل: فإن المخالفين لليهود فى التهود، قد نقلوا معجزات موسى – صلى الله عليه – وكذلك المخالفون للنصارى فى التنصر، قد نقلوا معجزات المسيح، وليس للمسلمين من يخالفهم فى الإسلام، وينقل مع ذلك معجزات محمد – صلى الله عليه وعلى آله.

قيل له: فليخبرنا اليهود، هل نقل معجزات موسى عليه السلام قبل مبعث المسيح – عليه السلام –غير اليهود ؟ ولتخبرنا النصارى: هل نقل معجزات المسيح، قبل مبعث النبى – صلى الله عليه وعلى آله – غير النصارى ؟ فلا بد لهم من أن يقولوا: لم ينقل ذلك غير من ذكرتم. قيل له: فهل قدح ذلك فى نقل معجزات موسى – صلى الله عليه – أو معجزات المسيح – عليه السلام – فى تلك الأزمنة، فلابد لهم من أن يقولوا: لم يقدح ذلك فى نقل تلك المعجزات.

قيل لهم: فكذلك حالك نقل المسلمين معجزات النبى – صلى الله عليه وعلى آله – فى أنه لا يقدح فيها أن غيرهم لا ينقلها.

على أنا نقول لليهود والنصارى، نحن لا ننقل شيئا من معجزات موسى وعيسى – عليهما السلام – إلا من جهة القرآن، وإخبار النبى – صلى الله عليه وعلى آله – بها. فلو لم تثبت نبوة نبينا – صلى الله عليه- لم يثبت عندنا شئ من معجزات موسى وعيسى – عليهما السلام – يكشف ذلك: أن علمنا بنار إبراهيم – صلى الله عليه – كعلمنا بفلق البحر. وان كان اليهود والنصارى ينكرون نار إبراهيم. وعلمنا بكلام المسيح فى المهد كعلمنا بإبرائه الأكمه والأبرص، وإحيائه الموتى. وإن كان النصارى ينكرون كلامه فى المهد، وإنما أردنا بذلك أنا لم نعلم شيئا من ذلك إلا من جهة القرآن وخبر الرسول – صلى الله عليه – وإن كان السائل من ملحدة الفلاسفة والمجوس.

قيل لهم: فأنتم أيضا قد علمتم كثيرا من أحوال (أرسطاطيس)[1] و(أفلاطون)[2] ومن جرى مجراهما وإخبارهم بنقل أصحابهم لها، ولم يكن ذلك عندكم موجبا للقدح فى ذلك النقل، وكذلك يقال للمجوس:وأنتم أيضا قد عرفتم

---

١ - أرسطوطاليس (أرسطو) (٣٨٤ _ ٣٢٢ ق.م): فيلسوف يونانى مقدونى، تكاملت على يديه الفلسفة اليونانية فبلغت الذروة فى نضوجها. يعده مؤرخ الفلسفة المعروف الدكتور عبد الرحمن بدوى هو وأستاذه أفلاطون (أعظم فلاسفة العالم على طول تاريخ الفكر الانساني)، و لُقِّب بـ (المعلم الأول) و(صاحب المنطق). ترك عدداً كبيراً من المؤلفات ذكر بطليموس الغريب ٨٢ عنواناً منها، تتألف من ٥٥٠ مقالة. لكن قسماً كبيراً منها ضاع ولم يصل إلينا. لكن لحسن الحظ أن الذى بقى هو الجانب الأهم)

٢ - أفلاطون فيلسوف يونانى قديم، وأحد أعظم الفلاسفة الغربيين، حتى ان الفلسفة الغربية اعتبرت أنها ماهى الا حواشى لأفلاطون. عرف من خلال مخطوطاته التى جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل وإبيغرامات(ابيغرام:قصيدة قصيرة محكمة منتهيه بحكمه وسخريه يعرف أرسطو الفلسفة بمصطلحات الجواهر، فيعرفها قائلا أنها علم الجوهر الكلى لكل ما هو واقعى. فى حين يحدد أفلاطون الفلسفة بأنها عالم الأفكار قاصدا بالفكرة الأساس اللاشرطى للظاهرة. بالرغم من هذا الاختلاف فإن كلا من المعلم و التلميذ يدرسان مواضيع الفلسفة من حيث علاقتها بالكلى، فأرسطو يجد الكلى فى الأشياء الواقعية الموجودة فى حين يجد أفلاطون الكلى مستقلا بعيدا عن الأشياء المادية، و علاقة الكلى بالظواهر و الأشياء المادية هى علاقة المثال (المثل) و التطبيق. الطريقة الفلسفية عند أرسطو كانت تعنى الصعود من دراسة الظواهر الطبيعية وصولا إلى تحديد الكلى و تعريفه، أما عند أفلاطون فكانت تبدأ من الأفكار و المثل لتنزل بعد ذلك إلى تمثلات الأفكار و تطبيقاتها على أرض الواقع.

كثيرا من أخبار (زرادشت)[1] وأخبار ملوكهم بنقل أصحابهم لها، ولم يقدح ذلك عندهم فى نقلهم،فكذلك حال نقل المسلمين لمعجزات الرسول – صلى الله عليه وعلى آله – لا يوجب فيه قدحا.

والأصل فى هذا الباب: أن الأحوال التى يكون العهد بها متقادما، لا ينقلها، ولا يهتم بحفظ أخبارها إلا من كانت له دواع قوية إلى ذلك فليراع ما ذكرناه، فى أخبار الأمم كلها، ونقلتها، وليس يجب أن يكون ذلك قادحا فى شئ من النقل . فكذلك حال المسلمين.

فإن قيل: ما تنكرون على من قال لكم: أن هذه الأخبار كانت فى الأصل ضعافا، وإنما قويت فروعها بالديانات والعصبيات وتلقى الأتباع لها بالتصديق، وإلا فأصولها انتشرت بنفسها ثلاثة من أصحاب المغازى كابن اسحق[2] ونحوه.

قيل له: أما من ذهب من العلماء إلى أن الاعتبار فى باب الأخبار الموجبة للعلم، هو تحصيل العلم الضرورى دون أوصاف الأخبار والمخبرين، فإن هذا السؤال ساقط عنهم.

فأما من راعى صفات المخبرين، فجوابه: أن يقول من أين لهذا السائل أن هذه الأخبار فى الأصل كانت ضعيفة؟ بل المعلوم من حالها أنها كانت فى الأصل أقوى

---

١ – زرادشت (عاش ما بين ٦٦٠ – ٥٨٣ ق.م) هو مؤسس الديانة الزردشتية و كان من الطبيعى أن تحاوط الاساطير والخوارق كلا من مولده ونماته على السواء، كطفل معجزة. وذلك أنه حين ولد لم يبكِ ولم يصح قط، على عادة الاطفال، سوى أنه كان دائم الضحك والحبور فلقد لازمت مأثورات حياته، ونموه – كبطل خارق – جسد الممارسات والشعائر الايرانية حين تزوج ورأى وجه عروسه للمرة الأولى، وكذا طقوس أخذ وشها ومعاشرتها، والاوضاع الجنسية وكيفية التعامل مع المرأة الزوجة، واخلاقيات الأسرة بعامة.

٢ – العلامة الحافظ الإخبارى محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل يسار بن كوتان ـ المطلبى بالولاء، المدينى، نسبة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يكنى بأبى بكر، وقيل بأبى عبدالله، وكان جده يسار من أهل قرية عين التمر بالعراق وهو صاحب السيرة النبوية، قال ابن سعد: كان ابن إسحاق أول من جمع مغازى رسول الله ﷺ (ولعله يقصد على وجه الاستقصاء) وإلا فقد سبقه عروة وموسى بن عقبة.

وأظهر. ولئن جاز لقائل أن يقول فى الأخبار هذا القول، ويدعى هذه الدعوى من غير أن يقيم عليها برهانا ويكون لها أدلة لجاز أن يقال مثله فى أخبار البلدان أجمع وسير الملوك وأحوالهم كلها. وهذا يؤدى إلى أن لا يثبت شئ من الأخبار، ولا يصح أن يعلم بها شئ من الأمور المتباعدة، وهذا واضح السقوط لأنه من المعلوم من أحوال الأمم أجمع أنهم قد علموا من أحوال سلفهم من الملوك وغيرهم أمورا كثيرة من جهة الأخبار. وهذا السؤال أن صح أدى إلى أن لا يصح العلم بشئ من ذلك، وفى علمنا: أن الأمر بخلاف ذلك مما يكشف فساده.

ثم يقال له: مما يفسد دعواك هذه: ويوضح سقوط سؤالك هذا: أنا قد علمنا أن هذه المعجزات لم تزل تنقل من أيام الصحابة إلى يومنا هذا، عصرا بعد عصر وزمانا بعد زمان، ومن المعلوم: أن هذا النقل كان ظاهرا مستفيضا قبل مولد أصحاب المغازى نحو ابن اسحق وغيره. فكيف يصح أن ينسب ذلك إليهم ؟

فإن قيل: عامة هذه الأخبار ينقلها الواحد والاثنان والثلاثة، وما يزيد على ذلك، ولا يمكن أن يذكر من نقلها إلا نحو هذا العدد.

قيل له: لا يمتنع أن يكون الخبر مستفيضا شائعا يجب العلم به، وإن كان ما نذكر من أسماء الناقلين هذا القدر، ألا ترى أنا نعلم ضرورة أنه كان يوم بدر،وجرى فيه ما جرى، وظفر المسلمون على المشركين ونعلم أيضا يوم أحد وما جرى فيه.

وكذلك سائر المغازى، ونعلم ضرورة من دين النبى – صلى الله عليه – أن الظهر أربع والمغرب ثلاث، ولو تتبعنا أسماء من ينقل ذلك ممن لهم ذكر فى الكتب، لم يزد على ما ذكرتم، وهذا لا يوجب الشك فى هذه الأخبار، فكذلك حال المعجزات.

فإن قيل: ما الفرق بين هذا النقل، وبين نقل الإمامية نصوص أئمتهم ومعجزاتهم.؟

قيل له: الفرق بينهما ظاهر لا يخفى على من تأمل حال النقلين، وذلك أن ما نقلته الأمامية من ذلك لم يثبت أن أئمتهم ادعوا شيئا من ذلك، بل الثابت عنهم أنهم كانوا ينكرون ذلك ويتبرءون منه، ولظهور إنكارهم ذلك ما قالت الإمامية، أن

ذلك الإنكار منهم كان على سبيل التقية، ولم يقولوا: انه لا أصل له، إلا أن يتواقح اليوم بعض من يدعى كلام منهم فيجحده، ثم هم لم يدعوا أن شيئا من ذلك كان ظاهرا على الولى والعدو. وإنما يدعون أمورا يلبسونها إلى أنها كانت فى السر، وبحيث لم تظهر إلا للواحد والاثنين وأحوال معجزات الرسول – صلى الله عليه – بخلاف ذلك، لأنه لا يرتاب فى أن النبى – صلى الله عليه وآله – كان يدعى ذلك. وأن ما نقل منها، وادعى كان على رؤوس الأشهاد، وحضور الملأ من المسلمين والمشركين، كما نقل ذلك فى حديث الاستسقاء وتكثير الطعام وخبر الميضأة،وما كان منه – صلى الله عليه وعلى آله – من غرز السهم فى بئر بالحديبية ونحو ذلك. فأى فرق بين النقلين أوضح وأُبين مما ذكرناه ؟

فإن قيل: فما الفرق بين نقلكم هذا ونقل اليهود والنصارى أنهم قتلوا المسيح وصلبوه ؟

قيل لهم: إننا لا ننكر أنهم رأوا شخصا مقتولا مصلوبا وأنهم فى هذا القدر صادقون. وإنما شبه لهم فظنوا: أن المقتول هو المسيح.

واختلف أهل العلم فى كيفية التشبيه ؟ فذهب الأكثر إلى أنه تعالى ألقى شبه عيسى – صلى الله عليه – على رجل من أصحابه،فظنوا أنه عيسى، وهذا التأويل عندى سائغ.

وذهب بعض العلماء، إلى أن اليهود لما لم يجدوا عيسى ؛ لأن الله عز وجل كان قد رفعه إليه، أخذوا رجلا من أصحابه فألبسوه ثيابه، وستروا وجهه، ثم قتلوه وصلبوه، وأوهموا الباقين، أنهم قد قتلوا المسيح – صلى الله عليه – والذين فعلوا ذلك من اليهود، كانوا عدد يسيرا من رؤسائهم، وهذا أيضا محتمل جائز، فأى الأمرين كان. فالأمر فيه مخالف لنقل المسلمين معجزات النبى – صلى الله عليه – لما بينا من كون عمومها لم يخف على المسلمين ولا المشركين، وأهل الكتاب لظهورها ووقوعها على وجه من شاهدوها وعاينوها على ما ذكرناه.

فإن قيل: فما الفرق بين نقلكم هذا ونقل الصوفية معجزات بشار الراعى، وبشر الحافي[1]، وإبراهيم بن أدهم[2]، ومن نحا نحوهم ؟

قيل له: الفرق بينهما هو بعينه ما ذكرنا فى الفرق بين نقلنا ونقل الإمامية؛ لأنه لم يثبت أن هؤلاء الصالحين ادعوا شيئا من ذلك، بل الأظهر أنهم كانوا ينكرون ذلك خشية الفتنة، وما جرى مجراه، ولم يمكنهم أنهم – رحمهم الله – ينكروا ذلك، ثم من ينقله لا ينقل أن شيئا من ذلك كان بين الجمع العظيم، وإنما يدعى أنه ظهر على سبيل الإخفاء، أو لآخر معه، فأى اشتباه يقع بين نقل المسلمين معجزات النبى صلى الله عليه، وبين نقل الصوفية الذى سألتم عنه ؟

وقد أشار إلى هذا صاحب الكتاب الملقب بالزمرد: بأن قال: " القوم الذين شاهدوا هذه الآيات، لم يخلو من أن يكونوا وقفوا حوله – صلى الله عليه وعلى آله – على مقدار دائرة ضيقة تسع لنحو من خمسين رجلا، أو على مقدار دائرة عظيمة تسع الخلق العظيم، فان كانوا فى مقدار دائرة واسعة اقتضى ذلك بعدهم عما يشاهدونه، وذلك يجوز التأبيس، وأن يكون للشك فيه مسوغ ".

وعن هذا بحمد الله أجوبة. أحدها: أن يقال لهذا الجاهل المزرى بعقله. أما علمت أن هذا السؤال يؤدى إلى أن لا يصح أن يعلم شئ من الأحداث والكوائن التى جرت فى الدنيا من طريق الأخبار والنقل ؛ لأنه يصح أن يقال فى كل حادثة أو كائنة: أن المحدثين بها لمشاهدتها. أما أن كانوا فى مقدار دائرة ضيقة أو واسعة. فإن

---

١ – هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافى أصله من مرو وقد سكن بغداد ومات فيها وكان كبير الشأن من أغنى أغنياء بغداد وقد كان قمّاراً خمّاراً زمّارا وكان لا يتورع عن فعل المنكرات والمحرمات الكبيرة.

٢ – إبراهيم بن أدهم إبراهيم بن أدهم ابن منصور بن يزيد بن جابر، القدوة الإمام العارف، سيد الزهاد أبو إسحاق العجلى، وقيل: التميمى، الخراسانى البلخى، نزيل الشام .مولده فى حدود المائة . حدث عن: أبيه، ومحمد بن زياد الجمحى –صاحب أبى هريرة –وأبى إسحاق السبيعى، ومنصور بن المعتمر، ومالك بن دينار، وأبى جعفر محمد بن على، وسليمان الأعمش، وابن عجلان، ومقاتل بن حيان حدث عنه: رفيقة سفيان الثورى، وشقيق البلخى، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، ومحمد بن حمير، وخلف بن تميم، ومحمد بن يوسف الفريابى، وإبراهيم بن بشار الخراسانى خادمه، وسهل بن هاشم، وعتبة بن السكن، وحكى عنه الأوزاعى، وأبو إسحاق الفزارى.

كانوا فى مقدار دائرة ضيقة صح عليهم التواطؤ، وإن كانوا فى مقدار دائرة واسعة لم يمتنع أن يحل إليهم الحادث على قدر ما هو عليه، فيلزما جميع ما ذكرنا أو يشك حتى لا يصح أن أحدا أقيل ولا أن أحدا ولى، ولا أن أحدا ناظر أحدا فى شئ من أمور الدين أو الدنيا، فان التزم ذلك وضح خزيه، وبان ضلالته، وإن أجاب عنه بشئ فهو جوابنا فيما سأل عنه.

ومنها أن يقال له: أن المحدقين لا يجرون مجرى السور المبنى أو الحائط المشيد، بل لا يمتنع أن يكون من خلفهم يطلع فيرى ما يراه الأولون، ويعاين ما يعاينونه.

ومنها أن يقال: لا يمتنع فى كثير من هذه الآيات أن يشاهده قوم ثم يتأخرون، ويتقدم آخرون، فيشاهدوا ما شاهده الأولون.

ومنها أن يقال له: لا يمتنع أن يقع العلم بخبر الخمسين، أو دون الخمسين إذا أخبروا على وجه يعلم أنهم لم يتواطؤا، وكل ذلك يوضح سقوط ما ذكره هذا الجاهل.